صحراء المغرب عبر التاريخ

Moroccan desert throughout history

إعداد

سفيان البوخاري

Sufian Al-Bukhari

باحث بجامعة إبن طفيل القنيطرة

Doi: 10.33850/ajahs.2022.234563

الاستلام : ٦ / ٣ /٢٠٢٢ القبول : ٢٠ / ٣ /٢٠٢٢

البوخاري ، سفيان (٢٠٢٢). صحراء المغرب عبر التاريخ. ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٦)، ع(٢٢) أبريل، ٢٧٣ – ٢٨٠.

صحراء المغرب عبر التاريخ

المستخلص :

هدفت الدراسة للتعرف على منطقة المغارب، من خلال تاريخها السياسي الطويل وحدة سياسية تتسع رقعتها الجغرافية او تضيق، وذلك يعزى الى قوة السلطة السياسية او ضعفها، وشكلت المنطقة مصدر الحياة الروحية والثقافية لسكان الصحراء التي يسكنها البدو الرحل من القبائل. وقد برزت المقاومة الوطنية في الصحراء لقوات الاحتلال الفرنسي والاسباني بعد عام واحد من حصول المغرب على استقلاله تحت قيادة جيش التحرير المغربي الذي استمد عناصر قوته من القبائل الصحراوية. فتاريخ منطقة المغارب، يؤكد بأن الصحراويين كانوا مندمجين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية للدولة المغربية. لهذا شملت علاقات التفاعل المتبادل بين الإقليم الصحراوي والأقاليم المغربية الأخرى عدة جوانب: تجارية، عسكرية، دينية، اجتماعية وسياسية.فالاندماج إذن بين الأقاليم الصحراوية وباقي التراب الوطني هو حقيقة موضوعية ثابتة.

Abstract:

The study aimed to identify the Maghreb region, through its long political history, as a political unit whose geographical area is expanding or narrowing, due to the strength or weakness of the political authority. The national resistance emerged in the desert to the French and Spanish occupation forces one year after Morocco gained its independence under the leadership of the Moroccan Liberation Army, which drew its strength elements from the Saharan tribes. The history of the Maghreb. The history of the Maghreb region, and Turkey's Sahrawis are integrated into the economic life of the Moroccan buildings. These interrelationships with the interrelationships between the Saharan territory and the Moroccan territories have some other aspects: commercial, social and political relations.

تمهيد :

تمثل منطقة المغارب، من خلال تاريخها السياسي الطويل وحدة سياسية تتسع رقعتها الجغرافية او تضيق، وذلك يعزى الى قوة السلطة السياسية او ضعفها ، وشكلت المنطقة مصدر الحياة الروحية والثقافية لسكان الصحراء التي يسكنها البدو الرحل من القبائل. وقد برزت المقاومة الوطنية في الصحراء لقوات الاحتلال الفرنسي والاسباني بعد عام واحد من حصول المغرب على استقلاله سنة 1956 تحت قيادة جيش التحرير المغربي الذي استمد عناصر قوته من القبائل الصحراوية .[١]

فتاريخ منطقة المغارب، يؤكد بأن الصحراويين كانوا مندمجين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية للدولة المغربية. لهذا شملت علاقات التفاعل المتبادل بين الإقليم الصحراوي والأقاليم المغربية الأخرى عدة جوانب: تجارية، عسكرية، دينية، اجتماعية وسياسية.فالاندماج إذن بين الأقاليم الصحراوية وباقي التراب الوطني هو حقيقة موضوعية ثابتة.[٢]

ومن خلال هذه الاعتبارات، تشكل الصحراء العمق الاستراتيجي للدولة المغربية منذ القدم، ويعود تاريخ ارتباط الصحراء بالمغرب إلى حوالي سنة ١٠٥٠ م عندما بسط الموحدون المنحدرون من قبائل صنهاجة سيطرتهم على مختلف مناطق المغرب الحالي. وينحدر السعديين الذين حكموا البلاد في القرن السادس عشر من أصول صحراوية، وقد وصلت سيادة المغرب في عهد السلطان المنصور سنة ١٥٧٨م إلى حدود نهر السنغال،ومع تولي العلويين المنحدرين من تافيلالت السلطة تواصل ارتباط المناطق الصحراوية بالحياة السياسية والاقتصادية للمغرب، خاصة الرابط الاقتصادي الذي شكل محور التجارة الصحراوية.

إن الاعتراف بمغربية الصحراء من طرف **"القوى الأوروبية"** ظل قائما وثابتا حتى قبيل الحرب العالمية الأولى، حيث تؤكد الاتفاقية السرية الفرنسية البريطانية في خامس غشت ١٨٩٠م مغربية منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب بدون لبس. كما أن إسبانيا اعترفت دوما في الماضي بأن سيادة المغرب على الصحراء تمتد إلى ما وراء وادي درعة، وكانت تصرح في مطلع القرن العشرين بأن

---

[١] على الشامي ، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في العالم العربي، بيروت ، الطبعة الاولى ، 1980، ص٧ .

[٢] عبد السلام المودن ، الدولة المغربية : قضايا الديمقراطية ، القومية والاشتراكية ، الدار البيضاء ، عيون المقالات ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، ص ٧٢ .

هذه الأراضي تابعة للسلطة المركزية المغربية وكانت تؤمن بذلك دبلوماسيا، كما أن المسؤولين المغاربة كانوا يعتقدون ذلك أيضا.[٣]

على ضوء التجاوب والالتحام الموجود بين العرش المغربي والقبائل الصحراوية، واستمرارية تلك الروابط والعلاقات التي كانت تربط هذه القبائل بملوك المغرب، فإن عرى هذه الروابط لم تنقطع ، بل ظلت هذه الروابط على مدى الأزمنة تنجز أسمى الغايات إلى حد المستطاع ، فتولد عن ذلك أعظم الثقات وأجلها في نفوس ملوك المغرب .[٤]

إن ما يجب التأكيد عليه، هو أن المغرب كان الدولة الوحيدة التي تبسط سيادتها وسلطتها على الصحراء، وكحجة على هذه السيادة توجد عدة دلائل: [٥]

- تعيين وعزل الخلفاء والقواد في الأقاليم الصحراوية .
- مراسلات الملوك المغاربة مع شيوخ القبائل الصحراوية .
- رحلات سلاطين المغرب للقبائل الصحراوية .
- تلقي ملوك المغرب للبيعات الشرعية من القبائل الصحراوية .
- اعتراف الدول الكبرى بمغربية الصحراء وإبرامها على هذا الأساس اتفاقيات ومعاهدات دولية مع المغرب ومع غيره، تقر فيها صراحة أو ضمنيا بمغربية الصحراء .

على العموم، لقد كانت المناطق الصحراوية الجنوبية منطقة مغربية وهذا ما حكم به المنطق والتاريخ .[٦] فمنذ قيام المرينيين في القرن الحادي عشر ارتبط تاريخ القبائل الصحراوية بتاريخ الدولة المغربية،ونفس هذا الإقرار عبر عنه أحد المؤرخين [٧]بأن الطابع المغربي لسكان الصحراء الغربية واقع لا يمكن طمسه،رغم تكاثف جهود العدو وبعض المناورات السرية للفصل النهائي لهذه الأقاليم عن المغرب، فوحده الاستعمار جزأ الوحدة المغربية القوية مند قرون خلت .

---

[٣] عبد العزيز خلوق التمسماني ، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر ، منشورات سليكي إخوان ، المحمدية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، ص ٣٥.

[٤] صدوق محمد أبيه ، الصحراء المغربية قبل الاحتلال وبعده ، الجزء الأول ، مطبعة فضالة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٣.

[٥] محمد عنان ، الصحراء المغربية حقيقة وتاريخ ، مطبعة فن الطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥.

[٦] مقتطف من تصريح وزير الداخلية المغربي الأسبق ادريس المحمدي في الندوة الصحفية التي عقدها يوم ٩ مارس ١٩٥٨ .

[7] Ali Yata , le Sahara occidental marocain , Casablanca , Ed .ALBAYAN , Octobre 1972 , p 31 .

إن التاريخ هو الذي يوضح لنا الروابط التاريخية والدينية والأسرية التي كانت تربط القبائل الصحراوية بالوطن الأم .[٨] ومن خلال استقراء لبعض المصادر التاريخية فإن جميع الملوك العلويين حرصوا على تعيين من ينوب عنهم في تسيير شؤون رعاياهم في هذه الأقاليم الجنوبية.

وفي هذا الإطار، نشيرإلى أن موظفا دوليا عمل لسنوات طويلة ببعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء **(المينورسو)** أورد في مقال نشرته مجلة **"لافريك رييل"** براهين تاريخية تؤكد مغربية الصحراء ، حيث ذكر بالخصوص بأن **" المغرب كان في عهد المرابطين يوجد على رأس إمبراطورية تمتد من نهر السنغال إلى وسط شبه الجزيرة الإيبيرية"**، وأشار إلى أن **"المرابطين وحدوا الصحراء بكاملها ما بين سنوات (١٠٤٢-١٠٥٢م) وأن الصحراء كانت وقت تقسيم المستعمرات تشكل مع المغرب كيانا اقتصاديا وسياسيا ودينيا واحدا" ،** [٩] فمغربية الصحراء لا ترتكز بالفعل على ذكريات تاريخية بعيدة ، إنها واقع سياسي تأكد خلال القرن العشرين بنفس القوة كما كان عليه الأمر في الحقب القديمة .[١٠]

إن أولئك الذين يشككون في هذه القضية يبينون أن لهم إلى حد ما مرجعية كولونيالية، لأنهم يحددون الحدود التاريخية للمغرب اعتمادا على تلك التي وضعها المستعمر. وقد ناقش المؤرخ **"برنارلوغان" Bernard Lugan** قضية الصحراء المغربية في كتابه الأخير تحت عنوان "تاريخ المغرب من الأصول إلى اليوم **Histoire du maroc à nos jours** ،فبتفحصه لتاريخ المغرب من القديم إلى الحقبة الحالية ، أراد المؤرخ أن يبين تاريخيا، سياسيا، لغويا، ثقافيا، دينيا وعرقيا، أنه لا يوجد على الإطلاق ما يسمى **ب "الشعب الصحراوي"** ، ويؤكد هذا الطرح – حسب هذا الاختصاصي في شؤون إفريقيا- الاتفاقية السرية الفرنسية – البريطانية المؤرخة في ٥ غشت ١٨٩٠ التي تنص على الاعتراف بالحماية البريطانية على جزر **"زنجبار" و"بومبا"** في المحيط الهندي،مقابل الاعتراف لفرنسا بإمكانية احتلال الصحراء الوسطى الغربية للحصول على ممر في اتجاه الجنوب أي نحو النيجر وبحيرة تشاد، وكان يتحتم على فرنسا أن تحترم الحدود المغربية الممتدة من فكيك إلى الرأس

[٨] جريدة الصحراء المغربية ، العدد ٤٠٠٥ ، بتاريخ ٧ يناير 2000 .

[9] Ali Yata , le Sahara occidental marocain , op . clt , p 92 .

[10] La marocanité du Sahara, voir le site Internet : http//www.courrier international.com/dossiers .

الأبيض **(نواديبو في موريطانيا)** ،وهذا يعني أن الصحراء **"الإسبانية سابقا"** كانت حكما أرضا مغربية .[11]

كما أثبتت الوقائع التاريخية،أن القبائل الصحراوية كانت تطلب يد المساعدة من المخزن المغربي في كل مرة كانت تهددها القوات الأجنبي [12]وكان سلاطين المغرب يعتبرون هذه المناطق جزء لا يتجزأ من المغرب،لذلك كانوا يبعثون للقبائل الجنوبية بالأسلحة والعتاد بواسطة ممثليهم هناك،وكانوا يساندون كفاح الشيخ **"ماء العينين"** ضد الاحتلال الفرنسي الإسباني،وبالنسبة لماء العينين،اعتبر العديد من الباحثين[13] أن بفضله تمكن السلطان من تدعيم سلطته جنوب وادي درعة،وأنه مقرب كثيرا من السلطان ويتلقى منه التعليمات بصفة منتظمة ، وقد انتقل الشيخ ماء العينين سنة 1897 إلى مراكش وكان في استقباله العاهل الشريف، وطلب من هذا الأخير الترخيص له بإعلان الحرب على الفرنسيين والإسبان، ومن أجل هذا الهدف زوده السلطان بالمال والأسلحة وعهد إليه بمهمة تهدئة أمور الصحراء المغربية .

ولعبت الصحراء دائما الدور الرئيسي في الحياة السياسية و الاقتصادية للمغرب، كما ساهمت بكيفية فعالة في تكوين الدولة المغربية ، وهذه حقائق واضحة لا نقول بها فقط في هذه العصيبة التي تجتازها وحدة المغرب الترابية، بل قال بها غيرنا من الأجانب واعترفوا بها إبان الاستعمار، ففي مؤتمر عقد في ٣٠ ماي ١٩٣٠ يتعلق بالصحراء الغربية تم التصريح بأنه : **" لا يمكن دراسة المغرب من الناحية التاريخية والعرقية و الجغرافية،بدون التطرق في كل لحظة إلى علاقاته الصحراوية وما بعد الصحراء. فالمهمة الأساسية لخاصية المغرب : هي أن يكون على جميع المستويات ، صلة الوصل و الممر بين أوروبا المتوسطية و إفريقيا الاستوائية " .**
إن تجاهل ما جاء به المغرب من الصحراء وخاصة إشعاع عمله على مستوى هذه البراري والقفار هو إجحاف في حقه وتعمد لعدم الاقتناع .

وفي نفس هذا المؤتمر أكد احد المختصين في الشؤون الصحراوية السيد **"فريدريك دولاشابيل "** : **" إن دور أهل الصحراء كان حاسما من عهد المرابطين إلى الرجال ازرق ومن أتباع الهيبة ابن ماء العينين، حيث كان العمل متواصلا**

---

11 Rachid LAZRAK, le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne, CASABLANCA, DAR el Kitab, 1979, p 137 .

12 F. Trout, Morocco's Sahara frontiers, Genève, Drog, 1969, p 156 .

١٣ أحمد السالمي الادريسي ، محاولة في مفهوم الروابط القانونية بين الدولة المغربية والأقاليم الصحراوية قبل ١٩١٢ ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام ، 1984 ، ص ١٠٩.

ليكون المغرب المنطلق والمنتهى لجميع الحركات الصحراوية، إذ أنه ومنذ القرن الحادي عشر، والسلطة السياسية في المغرب كانت دائما من أصل صحراوي، وهكذا فإن الأسر المالكة الخمية العظيمة التي حكمت المغرب خلال تلك الحقبة جاءت من الصحراء ".

وزيادة على دورها في الحقل السياسي، فإن الصحراء كانت تحتل مكانة بارزة في الحياة الاقتصادية المغربية، فبفضل الطرق المختلفة التي فتحها وأنشأها العديد من ملوك المغرب، فإن الصحراء كانت مجالا لحركة اقتصادية كبرى وخاصة ابتداءا من الدولة السعدية، إذ أن هذه الروع الصحراوية كانت قاعدة للتبادل التجاري بين أوروبا إفريقيا، لكونها ممرا للقوافل المحملة بالسلع من الدول الأوروبية القارة السمراء.

إن الصحراء كانت دائما صلة وصل بين المغرب وإفريقيا، لدرجة أنه كانت هناك أربع طرق تؤمن التواصل بين المملكة المغربية ودول الجوار الإفريقي وهي :

- من واحات فكيك ووادي الساورة كانت تنطلق الطريق المتوجهة إلى مدينة «كارو" على نهر النيجر.
- فيما ينطلق الطريق الى تامبكتو من سجلماسة.
- في حين كان العبور إلى حوض السنغال يتم عبر تندوف.
- وأخيرا كان هناك طريق آخر ينطلق من وادي ماسة إلى سان لوي السنغالية .

الهوامش :

أحمد السالمي الادريسي ، محاولة في مفهوم الروابط القانونية بين الدولة المغربية والأقاليم الصحراوية قبل ١٩١٢ ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام ، 1984

على الشامي ، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في العالم العربي، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠.

عبد السلام المودن ، الدولة المغربية : قضايا الديمقراطية ، القومية والاشتراكية ، الدار البيضاء ، عيون المقالات ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، .

عبد العزيز خلوق التمسماني ، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر ، منشورات سليكي إخوان ، المحمدية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ .

صدوق محمد أبيه ، الصحراء المغربية قبل الاحتلال وبعده ، الجزء الأول ، مطبعة فضالة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٣.

محمد عنان ، الصحراء المغربية حقيقة وتاريخ ، مطبعة فن الطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥ ، .

مقتطف من تصريح وزير الداخلية المغربي الأسبق ادريس المحمدي في الندوة الصحفية التي عقدها يوم ٩ مارس ١٩٥٨ .

جريدة الصحراء المغربية ، العدد ٤٠٠٥ ، بتاريخ ٧ يناير 2000 .

Ali Yata , le Sahara occidental marocain , Casablanca , Ed .ALBAYAN , Octobre 1972 .

La marocanité du Sahara, voir le site Internet : http//www.courrier international.com/dossiers .

Rachid LAZRAK, le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne, CASABLANCA, DAR. el Kitab, 1979.

F. Trout, Morocco's Sahara frontiers, Genève, Drog, 1969, p 156 .